استعادة

مثل جمال الدين الأفغاني، نجح أديب إسحق، الأرمني الدمشقي، في الكتابة والخطابة بغير اللغة الأم. واستطاع، مثله، الخروج من بيئة الأقلّية العرقية والمذهبية إلى رحابة العالم العربي. حياته القصيرة لم تحُل دون تحوّله إلى علَم من أعلام النهضة

فارس يواكيم

أرمني دمشقي في قلب النهضة العربية

حيوات أديب إسحق

استحقّ أديب إسحق (1856-1885) الإشادة به من مجايليه ومن كتّاب أجيال لاحقة. وكُرّم بإطلاق اسمه على ثلاثة شوارع: في دمشق وبيروت والإسكندرية. قال عنه جرجي زيدان: «إذا خطبَ تدفقَ السيل، يهتزّ المنبر وتتقاد إليه الكلمات أخذةً بعضها برقاب بعض». وقال مارون عبود: «يُرسل عبارته فتئزّ أزيزَ السَّهم وقد فارق الوتر». وهو عند رئيف خوري «من أعمقِ كُتّابنا صلةً بالثورة الفرنسية وبمبادئ مفكّريها». أما ناجي علوش، فاعتبره احد أبرز الروّاد الطليعيين في النهضة الأدبية السياسية خلال القرن التاسع عشر. وعن موهبته في الترجمة ذكر إلياس أبو شبكة: «إذا عمد أديب لنقل طرفة فرنجية إلى لسانه، فأوّل همّه أن يُلبسها حلّةً قشيبة من البيان». تلقّب أديب ظلماً بـ«المتنبي الأول لجدّه، فدُعي أديب إسحق شاعرَ، صحافي، كاتب وناشر، مؤلّف، محاضر، خطيب، مترجم، ومناضل سياسي؛ فكيف تسنّى له أن يغدو عدّة أشخاص مُفكّرة في شخص، وقد اضطرّ إلى هجر المدرسة وهو في الحادية عشرة من عمره للعمل المهنيّ وإعانة عائلته؟ مضى قطار عمره بسرعةٍ وصخب في رحلة قصيرة اختُتمت في العام التاسع والعشرين، وفي كلّ محطةٍ تركَ ما يثير الانتباه والإعجاب. لم تكن السنوات الخمس التي امضاها في مدرسة «الآباء اللعازريين» بدمشق (حيث وُلد سنة 1856) كافيةً لتأهيله للنجاح في أداء الأدوار التي لمع بها، مع أنها منحته أساساً متيناً بنى عليه. الأمر الذي يعني أنه ثقّف نفسه، وكان لا يشبع من القراءة في كتب التاريخ والأدب العربي واللغة الفرنسية، وأنه استوعب ما قرأ واستخلص نتائج سيُجيد توظيفها في مجتمعه. في عمر السادسة عشرة نظمَ الشّعر. وأيّاً كان مستوى القصائد البواكير، فهي تشي بأنّ ناظمها يملك زاداً لغوياً وافراً ومعرفة تامّة بالعروض لم يتلقّنها في سنوات الدراسة الأولى. كتب في قصيدة غزَلية: «أصبرٌ وقد ذاب الفؤادُ من الوجدْ/ ونومٌ وعينُ الصبّ وقفٌ على السهدْ/ وكيف اصطباري والغرامُ محاربي/ بسيفِ الجَوى والشّوق في الهجر والصدّْ/ فيا زمنَ اللذّات هل أنت عائدٌ/ ويا مالكي هل أنت باقٍ على العهد؟».

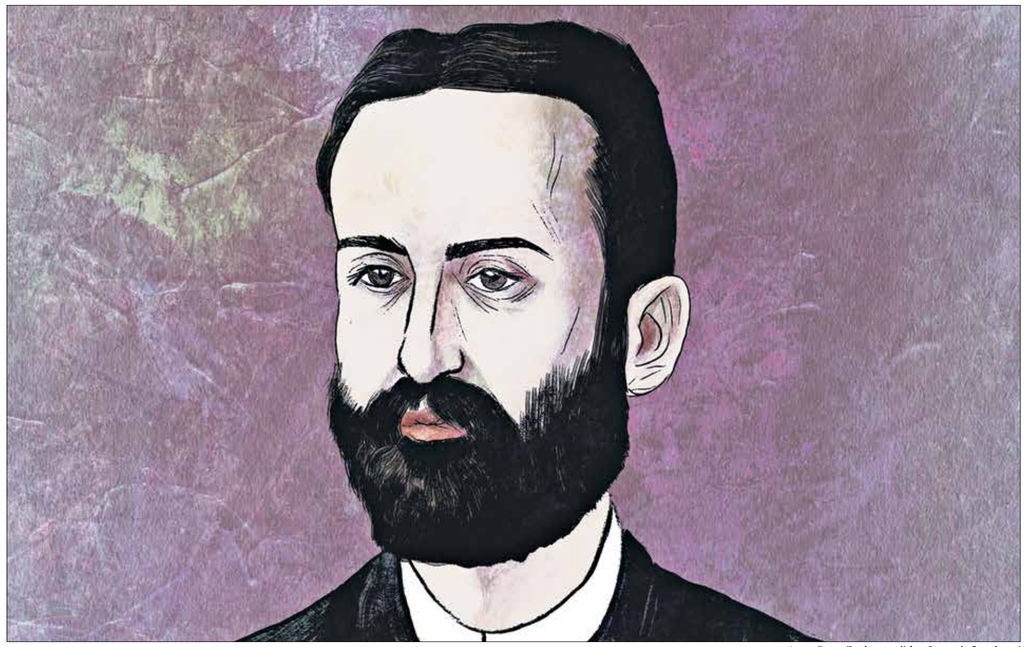

أديب إسحق في بورتريه لـ أنس عوض (العربي الجديد)

في السابعة عشرة عرف القرّاء اسمه كاتباً صحافياً في بيروت؛ نشر المقالات في صحيفتي «ثمرات الفنون»، و«التقدّم». وفي السنة ذاتها انضمّ إلى جمعية «زهرة الآداب»، وبعد عام تولّى رئاستها؛ وفيها ألقى محاضرات تتّسم بجمال اللغة وبالوعي الفكريّ. ومنها قوله: «الذين يلتمسون الزُّلفى إلى الله بالوعيد والتهويل، والذين لا يريدون أن يُعْبَد إلّا كما يريدون، والذين يحاولون رسم آرائهم في القلوب والجباه بالحديد والنار، كلّ هؤلاء يُغضبون الله ويكفرون بالحقّ ولا يشعرون». وكان في التاسعة عشرة من عمره عندما ترجم مسرحية «أندروماك» لجان راسين، بناءً على طلب القنصل الفرنسي في بيروت، وأشرف على إخراجها مع فرقةٍ من الهُواة. وفي عمر العشرين سافر إلى الإسكندرية تلبيةً لدعوة سليم النقّاش، الذي أسّس أوّل فرقة مسرحية في مصر ورغب في أن تكون «أندروماك» ضمن عروضه الأولى، فأضاف إليها أديب اسحق قصائد من نظمه. وإبّان تلك الإقامة ترجم أيضاً مسرحية «شارلمان»، ولم تكن هذه الترجمات من إبداعاته المذهلة، بينما تجلّت موهبته في ترجماتٍ صاغها أشعاراً، أشهرها ما اقتبس فيها من عبارات لفكتور هوغو في البيتين الأولين: «قتْلُ امرئٍ في غابةٍ/ جريمةٌ لا تُغتفَرْ/ وقتلُ شعبٍ آمنٍ/ مسألة فيها نظرْ/ والحقّ للقوّة لا/ يُعطاه إلّا من ظفرْ». وبرغم انشغاله بالمسرح، إلّا أنّ هذا الفن لم يكن هدفاً يسعى له.

التقى الأفغاني في القاهرة وأصبح المروّج الإعلامي لفكره

لا تكون السجون فارغة إلّا إذا امتلأت المدارس

في الحادية والعشرين من عمره التقى جمال الدين الأفغاني في القاهرة، وانضمّ فوراً إلى حلقته الدرّاسية، وأخذ عنه معارف في الفلسفة والمنطق والتاريخ الإسلامي والتراث العربي. وسرعان ما أصبح من أقرب المقرّبين إليه، فاصدر الصحف التي كانت تعبّر عن الرأي المشترك لكليهما. وكانت الباكورة جريدة «مصر»، وقد نقلها إلى الإسكندرية بعد فترة وجيزة من صدورها، واقنع صديقه سليم النقّاش بمشاركته تحريرها، وكان أن هجر النقّاش المسرح واحترف الصحافة. ومن بعد، اصدرا معاً جريدة «التجارة»، وحرّرا في جريدة «مصر الفتاة». وكان الأفغاني ينشر في هذه الصحف مقالات باسمه، ومقالات كان يوقعها باسم مستعار (مظهر بن وضّاح). وبعدما أصبح الشاب الأرمنيّ من أعلام الأدب العربي، غدا المروّج الإعلاميّ لفكر جمال الدين الأفغاني. ولم يكن الانتماء إلى الماسونية العامل الوحيد الذي جمع بين أديب اسحق والأفغاني، كلاهما نجح في الكتابة والخطابة بغير اللغة الأم. كلاهما نجح في الخروج من بيئة الأقلّية العرقية والمذهبية واللغوية إلى رحابة العالم العربي، وصارا من أعلامه غَيْر تبنّي قضاياه وهمومه. جمع بينهما التآلف والتآخذ: الأفغاني غذّاه بالتراث الإسلامي والعربي، وإسحق نقل إليه مستحدثات الفكر الغربي، خصوصاً الفرنسي. وجمع بينهما المصير ذاته: نُفيَ الأفغاني من مصر سنة 1897، فتوجّه إلى الهند، ولاحقاً أغلقت الحكومة صحيفة «مصر» وطُرد صاحبها أديب اسحق هو الآخر، فقصد باريس وبلغها في الأيّام الأخيرة من العام ذاته.

أمضى في منفاه الفرنسي تسعة أشهر، لم يهدأ خلالها يوماً. داوم على زيارة «المكتبة الوطنية» في باريس، فجدّد معارفه، وحضر في مجلس النوّاب جلسات كثيرة، تابع فيها أساليب الخطابة والممارسة الديمقراطية. والتقى فكتور هوغو في دارته، وحين خرج سال الصحافيون شاعر فرنسا الكبير عن ذلك الشاب الغريب، فاجاب بجملة موزونة على البحر الإسكندري: «هذا اليوم/ استقبلتُ/ عبقرياً/ من الشرق». وفي باريس أنشأ جريدة «مصر القاهرة»، وكتب في العدد الأول: «هذه صحيفة «مصر» طواها الاستبداد فمات شهيدة، ثم أحييتُها الحرّية فعاشت سعيدة». وكتب أربع رسائل بعنوان «نفثات مصدور» شرح فيها أنه يوجّه مقالاته إلى بني قومه، «أبيّن لهم أن النعمة لا تُملك من غير تعب، وأن الغاية لا تُدرك من غير طلب، وأن النجاة وقفٌ على سبيل الهمّة، وأن النجاح بإرادة الأمّة، لتظهر عليهم علائم القصد فتكون طليعةً لجيوش العزم، فيعلم المستخِفّون بهم أنهم لا يزالون أحياءً، وإن كانوا من ظلمهم في ظلمات القبور».

(كاتب من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ما فُقد وما بَقي

بعد شهور في منفاه الباريسي، عاد أديب اسحق عام 1881 الى القاهرة إثر تغيير حكومي، ليُعيّن ناظر قلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف. ورغم اعتبار موبّدين لجمال الدين الافغاني قبوله المنصب خيانةً لصديقه، إلّا انه ظلّ على ودّ معه، وكتب عنه مقالة ظلّت مخطوطة نشرها اخوه عوني اسحق في كتاب «الدُّرر»، الذي جمع مقالات ومحاضرات وقصائد وترجمات له. امّا «تراجم مصر في هذا العصر»، فقُقِد في جملة ما فُقد من آثاره.

إضاءة

سيسيل ل. ريكيا كلماتٌ وموسيقى بالأزرق

صورة راهنة للجاز

في اليومها الجديد «اعزف بلو»، تستعيد المغنّية الفرنسية عدداً من أشهر مقطوعات «تسجيلات بلو نوت» النيويوركية، إحدى معالم موسيقى الجاز

باريس ـ العربي الجديد

في عالم الجاز تمثّل «تسجيلات بلو نوت» حالةً تاريخية واستثنائية. فالإستديو الذي أسّسه المهاجر الألماني الفرد ليون في نيويورك عام 1939، رفقة الكاتب ماكس مارغوليس ومن ثم المصوّر الألماني فرانسيس فولف، يُعزف اليوم بوصفه المكان الذي أنتج ونشر البوماتٍ لكثير من الأصوات الأسطورية التي كتبت تاريخ الجاز بعد الحرب العالمية الثانية: من كليفورد بنجامين براون إلى مايلز دافيس، مروراً بديكستر غوردون، وجوني غريفين، ولي مورغان، وبود باويل، وسوني رولنز، ووصولاً إلى وايني شورتر، ورانت غرين، وهيربي هانكوك، وفريدي هوبارد وغيرهم.

ولم تكن «بلو نوت» (التي يشير اسمُها إلى نوطة أو علامة موسيقية في الجاز، تُغنّى عبر إخفاض الصوت، أو انزلاقه بشكل مفاجئ نصف درجة، ما يعطي اللون الذي يميّز أسلوب البلوز في الغناء) تُنتج أعمال هؤلاء الفنانين والمؤلّفين فحسب، بل تدعمهم في يومياتهم، وتموّل البروفات التي يقومون بها قبل تسجيل أشرطتهم، وهو ما يدفع الكثير من المؤرّخين إلى النظر إليها بوصفها أحد محرّكات الجاز الأساسية في القرن العشرين. كما أنّ هذه الحميمية التي جمعتها بفنّاني هذا اللون الموسيقي المولود في أميركا جعلتها أكثر التسجيلات امتلاكاً لأرشيفات تخصّ تاريخ الجاز والمشتغلين فيه بالولايات المتّحدة.

في اليومها «اعزفْ بلو»، تستعيد المغنّية والملحّنة والمؤلّفة الفرنسية سيسيل ل. ريكيا عدداً من الأعمال الأكثرة شهرةً التي أنتجها الاستديو النيويوركي وارتبطت به؛ أعمالٌ تكتفي ريكيا بموسيقاها، وتكتب لها كلماتٍ جديدة، أو تضيف كلماتٍ إلى تلك التي لم يسبق أن غُنّيت، بل فقط لُعبت على آلات الجاز التقليدية: ساكسفون، ترومبيت، غيتار، درامز، كلارينيت، بيانو وكونترباص.

ولا تتمثّل إضافة الفنانة ـ التي تُعَدّ اليوم من أبرز أصوات الجاز في فرنسا وأوروبا ـ في «تقويلها» هذه الألحان المعروفة كلامَها وقصائدَها التي تكتبها بالإنكليزية، بل أيضاً في تطويع بعض المقطوعات تلحيناً، أو غناءً، وفي إدخال تعديلات تقنية عليها لتقترب أكثر من خامة صوتها، وخصوصاً أن بعضاً من المقطوعات التي يتضمّنها ألبومها (عددُها 12) قد أدّاها عددٌ من المغنّين الرجال الذين عُرفوا ببعة خاماتهم الصوتية. يمكن الوقوف على هذه الإضافات، على سبيل المثال، في مقطوعة «ترو نوت» (True Note)، لعازف الساكسفون والمغني الأميركي تيدا بروووكس، والتي جرت استعادتُها من قِبَل العديد من المغنّين باللغة الإنكليزية، في الجاز وغيره من الألوان الموسيقية، وهي أغنية صدرت للمرّة الأولى لدى «تسجيلات بلو نوت» في عام 1960؛ حيث تعيد سيسيل ل. ريكيا توزيع الأدوار بين البيانو والدرامز والآلات النفخية، آخذةً المقطوعة إلى مكان مختلف عن مكانها الأوّل كما تخيّله ولعبه بروووكس، وحتى عن استعاداتها اللاحقة.

> كتبت قصائد لعدد من أشهر مقطوعات الجاز في الولايات المتّحدة

سيسيل ك. ريكيا

إطلالة

في اختصار مجتمعاتٍ بكلمة واحدة

الأزمة كهويّة

ما يُخشى، في ما يخصّ استخدام كلمة «الأزمة» عربياً، أنها باتت تُستخدم لا من أجل التوضيح، بل من أجل طمْس الحقائق، أو وضْع القارئ أمام لغز

معدوح عزام

يمكن أن يكون كتاب بول هازار «أزمة الضمير الأوروبي» أوّل الكتب التي واجهت الثقافة العربية بعد الاستقلال في تقديم الأزمة كتوصيف مناسب لمسائل الفكر في انغلاقها أوعجزها عن تفسير الواقع. وكلمة «الضمير» هنا غامضة، وإن كانت تعني، بحسب قراءة المؤلّف، الفكرَ الأوروبيّ في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولم تفسّر كلمة «الوعي» في الترجمة الجديدة للكتاب نفسه ـ المفردة، حين صار عنوانه «أزمة الوعي الأوروبي»، بينما ظلّت «الأزمة» هي الهُوِيّة التي ترافق العنوان. وبغضّ النظر عن تاريخ استخدام الكلمة في الثقافة العربية، فإنها تكاد تصبح المفردة شبه الوحيدة للتعبير عن الوضع العربي، وهي ترافق التاريخ العربي الحديث والمعاصر في أيّة جولة يمكن أن يتحرّك فيها القارئ. فكتب غالي شكري عن «سلامة موسى وأزمة الضمير العربي»، ثم عاد إلى موضوع الأزمة في كتابه «أزمة الجنس في القصة العربية»، وفي الكتابين تزداد المفردة غموضاً، بينما لا يظهر في كتابه عن سلامة موسى ما هي العلاقة بين مؤلّفاته وبين أزمة الضمير العربي. وفي وقتٍ لاحق عُقدت ندوة الكويت الشهيرة بعنوان «أزمة التطوّر الحضاري في الوطن العربي» عام 1974، وتبعتها، بعد بضعة أشهر، كتاب مهدي عامل الذي ناقش فيه أبحاث الندوة، تحت عنوان «أزمة التطوّر الحضاري أم أزمة البرجوازيات العربية؟»، ولكنّ المفكّر الراحل لم يناقش المشاركين في وجود الأزمة أم لا، بل في مضمون واتّجاه السُّهُم داخل أبحاثهم.

وسارع المؤرّخ اللبناني كمال ديب لتأليف كتاب يسجّل فيه ما يحدث في سورية بعد العام 2011، ينفي فيه الثورة، ويستبدلها بمفردة «الأزمة» هكذا: «أزمة في سورية»، بخطٍّ كبير واضح، مع عنوان فرعي مكتوب بخطّ صغير ـ يشير إلى هامشيّته ـ هو «انفجار الداخل وعودة الصراع الدولي، 2011 . 2013». ولا يُعفي اليسار نفسه من القول بأبدية الأزمة أيضاً، فيكتب مؤلّفا «معجم الماركسية النقدي» في مقدّمة الترجمة العربية، أنه يصدر في ظلّ الأزمة التي يُعاني منها العالم العربي الإسلامي، دون أن يوضّحا ما هي الأزمة، أو أين نجدها.

ثمّة مشكلة في وجود الأزمة، غير أنّها حين تصبح هوية لمجتمع، أو لمجتمعات عربية تتوزّع على مساحة جغرافية هائلة، فإنها تصبح أفقاً مسدوداً. ما يُخشى منه أن المفردة باتت تُستخدم على نطاق واسع، لا من أجل التوضيح، بل من أجل طمْس الحقائق، أو وضْع القارئ أمام لغز الواقع غير المفهوم.

هذا في الجغرافيا. ولكنّ التاريخ يقول إن عُمْر الأزمة، أو الأزمات في هذه البيئة، يغمر القرن العشرين كلّه، ويتغلغل أيضاً في القرن الحادي والعشرين.

والمتأمّل للكلمة وتعريفاتها سوف يفهم من هذا التكرار أن الوضع العربي يعيش نمطاً واحداً من المشكلات منذ بداية القرن الماضي حتى يومنا. هذا هو التشخيص الذي يكاد يتّفق عليه كلّ من قارب موضوع التطوّر وملاحقه في حالنا العربي. بينما يختلف الجميع في أسباب العلّة، وفي كتابة وصفة العلاج.

نعيش نمطاً واحداً من المشكلات منذ بداية القرن الماضي

جدارية في عمّان القديمة، 2019 (Getty)

فعاليات

في «مكتبة البلد» في القاهرة، تقام بعد غد الاحد امسية ادبية لمناقشة رواية **متاهة الإسكندرية** (دار الشروق) للكاتب المصري **علاء خالد**. خلال الامسية، يُقدّم كل من ابراهيم داود وعبلة الرويني قراءتهما للرواية. من مؤلّفات خالد الأخرى: «مسار الأزرق الحزين»، و«كرسيان متقابلان»، و«تحت شمس ذاكرة أخرى».

ينطلق اليوم الجمعة ويتواصل لثلاثة أيّام، في مدينة توزر التونسية، **ملتقى السرد العربي** الذي يتناول محور «استلة القصة القصيرة جدا وقضايا الواقع». من الاوراق التي ستُقدَّم غدا: «بلاغة القصّ الوجيز في الاقصوصة الومضة» لـ **عبد المجيد بن بحري**، و«القصة القصيرة جداً في الإبداع العربي الحديث» لـ **إبراهيم الدرغوثي**، و«إشكالية القصة القصيرة جداً» لـ **سيّد التوّي**.

ضمن احتفالات فضاء «مترو المدينة» في بيروت بذكرى تاسيسه العاشرة، تُقدَّم مساء غد نسخة جديدة من عرض **هشك بشك شو** الذي يشارك فيه كل من: **فرح قدور**، و**زياد الاحمدي**، و**زياد جعفر**، و**سلوى جرادات**، و**اشرف شولي**، و**ايمن سليمان**، و**فراس عنداري**، و**ساندي شمعون**، و**علي كانبر**، و**روبرتو قبرصلي**، و**لينا سحاب**.

هذا الشهر، تقيم **مكتبة ليلّو** في مدينة بورتو البرتغالية سلسلة انشطة احتفالا بذكرى تاسيسها الـ116. تتميّز المكتبة بكونها منفتحة على آداب العالم، سواء المترجمة منها او بلغاتها الاصلية؛ حيث نجد فيها بعض الكتب العربية. من المشاركين في الانشطة المترجم التونسي (من البرتغالية للعربية) **عبد الجليل العربي**.